

تأليف : آرثر كونان دويل

ذكريات

شارلوك هولمز

لغز الرجل الأحدب The Crooked Man

نشرت للمرة الأولى في مجلة ستراند تموز 1893



ترجمة : سليمان حسون

رواد المعرفة



مغامرات شارلوك هولمز

- 1- فضيحة في بوهيميا
- 2- عصبة ذوي الشعر الأحمر
- 3- الهوبة الغامضة
- 4- لغز وادي بوسكومب
- 5- بخور البرتقال الخمس
- 6- الرجل ذو الشفة المقلوبة
- 7- مغامرة العقيق الأزرق
- 8- مغامرة الشريط المرقط
- 9- مغامرة إبهام المهندس
- 10- مغامرة الليل الأعزب
- 11- مغامرة تاج الزمرد
- 12- مغامرة منزل الأشجار النحاسية

ذكريات شارلوك هولمز

- 1- ذو الغرة الفضية
- 2- لغز الطرد البريدي
- 3- الوجه الأصفر
- 4- لغز موظف البورصة
- 5- لغز سفينة غلوريا سكوت
- 6- طقس موسعريف
- 7- لغز بلدة ريغيت
- 8- لغز الرجل الأحبب
- 9- المريض المقيم
- 10- المترجم اليوناني
- 11- وثائق المعاهدة البحرية
- 12- المشكلة الأخيرة

ISBN 978-9933-14-810-2



9 789933 148102

رواد المعرفة للنشر والتوزيع

دولة الكويت - جوال: 0096590088113

Email: rawadalmarefa@hotmail.com

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الثانية
2015م - 1436هـ

ذكریات شارلوك هولمز
The Crooked Man
لغز الرجل الأُحدب

تأليف: آرثر كونان دویل
ترجمة: سليمان حسون

أجيال الغد

سورية - دمشق - هاتف: 2256733 / 2262422 11 00963
ص.ب: 31453 - agyalalgadsyr@gmail.com
أشرف على التنفيذ الفني والطباعي دار الحافظ
daralhafez.net

8

ذكريات شارلوك هولمز

The Crooked Man

لغز الرجل الأحذب

تأليف: آرثر كونان دويل

نشرت للمرة الأولى في مجلة ستراند
تموز 1893

ترجمة: سليمان حسون

مراجعة: ليلى حجازي

مُقدِّمة

تفوّقت شخصية شارلوك هولمز على شهرة مخترعها سير آرثر كونان دويل وتجاوزت شهرتها ليس فقط لندن والجزيرة البريطانية، بل بلغت أقاصي العالم مع ترجمة أعمال ومغامرات هولمز إلى كل لغات العالم تقريباً. فلم يعد أحد من الشبان أو الشابات إلا ويعرف من هو ذلك المحقق اللامع الذكاء الذي يعير انتباهاً إلى أدق التفاصيل عندما يضع قضية ما تحت مجهر فحصه الدقيق. ومن منا لا يذكر براعة هولمز في فك طلاسم أعقد الألغاز وأشدها غموضاً بطريقة تحليله المنطقية الشهيرة. تعتبر شخصية هولمز غير الحقيقية طبعاً واحدة من أكثر الشخصيات تأثيراً في القراء خلال القرن العشرين نظراً لمخاطبتها عناصر أساسية في شخصية أي إنسان لتحفيز قدراته

العقلية، وتفكيره من أجل الوصول إلى حل كل لغز اشتركت فيه. وكأئها (أي شخصية هولمز) كانت تحث القارئ دوماً وتحفزه للوصول إلى الحقيقة، أو حل اللغز المطروح بشكل يجعل القارئ يضطر لاستخدام كل ملكاته الفكرية والعقلية للوصول مع هولمز وواطسون إلى حقيقة الأمر، أو حتى أن يسبقهما في التوصل للحقيقة. الطريف في شخصية هولمز أنها وعلى الرغم من أنها تقدم لنا شخصاً من لندن في نهاية القرن التاسع عشر إلا أنها من خلال طريقة تعاملها مع ما حولها ومن حولها تبدو شخصية أكثر معاصرة وكأن كونان دويل نجح بتحويلها إلى شخصية خارج إطار زمان محدد.

الأهم من شخصية هولمز التي تتسبب كل قصص كونان دويل هي شخصية كاتبها التي تشي بشخص عاش حياته كتجربة عظيمة تمكّن إلى أقصى حد في تصويرها من خلال شخصية هولمز، أحياناً وشخصية د. واطسون بصورة أكبر وأكثر جلاء. كما تمكّن الفنان سيدني باجيت من ابتداء صورة نمطية محدّدة ومشوّقة للسيد هولمز في

أذهاننا، مع مواكبة قصص كونان دويل برسومات جميلة جعلت صورة هولمز المرتدي لقبعته المميزة. وجليونه الجميل، صورة لا تمحى من أذهاننا.

آرثر كونان دويل

مؤلف شخصيّة «شارلوك هولمز»

ولد الطبيب والروائي البريطاني السير آرثر كونان دويل في أدنبرة باسكتلندا سنة 1859، واشتهرت الشخصية التي ابتدعها «شارلوك هولمز» لرجل التّحري الذّكي القادر على فك ألغاز الجرائم، معتمداً على امكاناته الذّهنية وقوة الملاحظة، واتباع طريقة الملاحظة والتّحليل والاستنتاج بالاعتماد على العلم والمنطق، هذه الشّخصية التي أصبحت أكثر شهرة من مبتدعها.

وقد مثّلت العديد من رواياته وقصصه، وتحوّلت إلى أفلام سينمائية وأفلام كارتونية. وقد هجر السير آرثر دويل مهنة الطّب بعد أن مارسها ثماني سنوات، واتّجه إلى الأدب، واستطاع أن يبدع فيه. بدأ حياته الأدبية سنة 1887 بكتابة القصص القصيرة للمجلات بهدف زيادة دخله. يقول

النَّاقِد كريسٲوفر مورلي عن شارلوك هولمز: لم يحدث أبداً أن نالت شخصية روائية هذا الحظ من القدرة على امتاع القراء والالتصاق بهم بمثل ما نالت شخصية شارلوك هولمز. فالسير آرثر دويل بعد أن مارس مهنة الطَّب في عيادته التي لم يكن يزورها إلا النُّزُر اليسير من المرضى، كان يجد أوقاتاً كبيرة من الفراغ، شغلها بكتابة القصص القصيرة، والتي لم تنل حظاً من النِّجاح في البداية.

إلا أنه وبعد نشر روايته الأولى عن شارلوك هولمز سنة 1887 أخذ نجمه في الصُّعود. وبلغت مجموع القصص والروايات التي كتبها السير آرثر دويل وظهرت فيها شخصية شارلوك هولمز حوالي 60 عملاً، جُلَّها من القصص القصيرة، حتَّى أصبح السير آرثر دويل من أكثر كُتَّاب القصَّة القصيرة دخلاً في عصره.

ونظراً لجهوده في دعم الحكومة البريطانية في حرب البوير «1899 - 1902» رُقِّيَ إلى رتبة فارس سنة 1902.

شارلوك هولمز

شخصية خيالية لمحقق من أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ابتكرها الكاتب والطبيب الاسكتلندي سير آرثر كونان دويل، ظهرت الشخصية لأول مرة في 1887، واشتهرت الشخصية بمهارتها الشديدة في استخدام المنطق والمراقبة لحل القضايا، وقد يكون هو أشهر محقق خيالي في العالم، وهو بالفعل أحد أكثر الشخصيات الأدبية المعروفة بشكل عالمي.

كتب كونان دويل أربع روايات، وستاً وخمسين قصة قصيرة من بطولة هولمز، رويت جميعها من قبل صديقه الحميم وكاتب سيرته دكتور جون هـ. واطسون، باستثناء قصتين رواهما هولمز بنفسه، واثنين رويتا بضمير الغائب.

وصف شارلوك هولمز نفسه بأنه محقق استشاري خبير، يتم استدعاؤه لحل القضايا التي يثبت أنها صعبة الحل جداً على المحققين الرسميين (النمطيين). وتُخبر القصص أنه كان قادراً في العديد من المناسبات على حل القضايا بدون مُغادرة بيته، دون أن تهتم القصص بتقديم الكثير من

هذه القضايا الصّغيرة، مُركِزةً على القضايا المشوّقة التي تتطلّب منه القيام بتحريك ساقيه فعلاً. يتخصّص هولمز في حل القضايا الغريبة مستخدماً قواه الاستثنائية في المراقبة والتحليل المنطقي.

يُصوّر هولمز بشكلٍ دائمٍ في الوسائط الإعلامية المختلفة مرتدياً قبعة صائد الأيائل وعباءته، مُدخناً غليوناً، وممسكاً بعدسةٍ مكبرة. ويوصف هولمز بأنّه سيدٌ إنجليزي من الطّراز الفيكتوري، طويلٌ ورشيّق، له عينان حادّتان دقيقتان، وأنف معقوف. بالرّغم من قامته النّحيلة فإنّ قدراته البدنيّة عالية. هو ملاكٌ ومبارزٌ ماهرٌ، وعادة ما يتغلّب على خصومه في المرات القليلة نسبياً التي اضطر فيها للاشتباك جسدياً. وفي مغامرة إكليل العقيق يقول هولمز أنّه: (يملك قوة استثنائية في أصابعه). أمّا في مغامرة المنزل الفارغ فيذكر أنّه: (يملك القليل من المعرفة حول المصارعة اليابانية). كان يعيش هولمز في لندن شارع بيكر عنوان B 221.

في أوّل قصصه، دراسة بالقرمزي، قدّمت بعض

المعلومات عن خلفية هولمز. قُدِمَ في 4 آذار 1881 على أَنَّهُ طالب كيمياء مستقل، له مجموعةٌ واسعةٌ من الاهتمامات الجانبية، وتقريباً؛ فإنَّ كل هذه الاهتمامات تصب في مجرى مساعدته ليصبح خارقاً في حل الجرائم. في مغامرة أخرى مبكّرة بعنوان مغامرة غلوريا سكوت، تتضح الأسباب التي دعت هولمز إلى العمل كمحقق خاص؛ امتداح والد زميله في الكلية الشَّدِيد لمواهبه وقدراته الاستنتاجية.

في مغامرة المترجم الإغريقي، يقول هولمز: أَنَّ جدَّته كانت شقيقة الرّسام الفرنسي فيرنو. وفي دراسة بالقرمزي، يضع دكتور واطسون تقييماً لمهارات شارلوك:

ويعتبر شارلوك هولمز أيضاً مُحلِّل شفرات كفاء، ويقول لواطسون: أَنَا متألّف مع كل أشكال الكتابة السريّة بشكل جيد، وَأنا نفسي مؤلف كتاب ثانوي حول الموضوع، حللت فيه مائة وستين شفرة منفصلة. حُلّت إحدى الشّفرات في مغامرة الرّجال الرّاقصين، التي استخدمت سلسلة من الأشكال الأولية.

كما أظهر هولمز نفسه كأستاذ في التَّنكر بعد أن تنكر في

أشكال مختلفة خلال مغامرات: بحار (علامة الأربعة) وسائس خيل، ورجل دين (فضيحة في بوهيميا)، ومدمن أفيون (الرَّجل ذو الشفة المقلوبة)، ومتبطل عادي (مغامرة إكليل العقيق)، وكاهن إيطالي عجوز (مغامرة المشكلة الأخيرة)، وبائع كتب (مغامرة البيت الفارغ)، وعامل تمديدات صحیّة أو سبّاك (مغامرة تشارلز أغسطس ميلفرتون)، ورجل محتضر (مغامرة المحقّق المحتضر)، وأخيراً متسول كلب آل باسكرفيل.

ويمكن اعتبار هولمز رائداً في علم الأدلّة الجنائيّة الحديث لاستخدامه هذا العلم في قضاياها، مثل: تعرفه على الفروقات بين أنواع الآلات الكاتبة لفضح الاحتيال (قضية هوية). وتوصله إلى جريمة باكتشافه قطعتين من البقايا البشرية (مغامرة صندوق الورق). وملاحظته لبقايا بارود على الضحية (مغامرة ميدان ريغاتي). وملاحظته نوع الرصاص المستخدم في جريمتين (مغامرة البيت الفارغ). واستخدامه بصمة الأصابع لتحرير رجل بريء (مغامرة باني نوروود).

عاش شارلوك هولمز تاريخياً، في 221 B شارع بيكر، لندن منذ 1881، حيث أمضى العديد من سنواته المهنية مع صديقه الحميم دكتور واطسون، الذي تشارك الشقة معه قبل زواج واطسون في 1890. وكانت تشرف على صيانة الشقة والاهتمام بها السيدة مارثا هدرسون، مالكة البناية. وقد وصف دويل الحي الذي يعيشان فيه بدقة، حتى أن الكثيرين من القراء زاروا شارع بيكر للبحث عن العنوان الخيالي.

ومن أبرز الشخصيات التي ظهرت في حياة شارلوك هولمز:

د. واطسون

واطسون؛ صديق هولمز الحميم، وكاتب سيرته الذاتية، كما أنه يقوم بتسجيل معظم قضايا هولمز. وفي القصص الأخيرة ينتقد هولمز واطسون دائماً لأنه يروي القصص بشكلٍ مثير، مبتعداً عن الطريقة الموضوعية والمفصلة للتقارير التي تركز على ما يُسميه هولمز (العلم المحض). واطسون، بالمقابل، له سمعة مبررة بعض الشيء

كرجل يميل إلى النساء، يتكلم بحب عن بعض النساء، وفي بعض القصص الطويلة كثيراً ما يركّز على جمال امرأة معينة، وفي النهاية فإنه يتزوَّج واحدة بالفعل. ماري مورستان من رواية علامة الأربعة.

جيمس موريارتي «عدو شارلوك هولمز الأزلي»

البروفيسور جيمس موريارتي (نابليون الجريمة)، هو في الأساس معلّم الرياضيات الخصوصي لهولمز، كما أشير لذلك أيضاً في عمل بارينغ-غولد. وهو المشكلة الأساسية في العديد من قضايا شارلوك هولمز.

سقط مع هولمز أثناء صراعهما في شلالات راينباخ. ونوى كونان دويل أن تكون (المشكلة النهائية) التي حدث فيها ذلك، هي آخر قصة يكتبها عن هولمز، لكنّ الرّسائل الكثيرة التي استلمها مطالبةً بعودة هولمز أقنعتة بالاستمرار في كتابة القصص. وفي (مغامرة المنزل الفارغ) أخبر كونان دويل أنّ موريارتي وحده من سقط في الشّلال، وأنّ هولمز جعل العالم يعتقد بأنّه مات أيضاً ليراوغ أتباع موريارتي.

آيرين أدلر

المرأة الوحيدة التي أبدى هولمز اهتماماً بها. وتبعاً لما قاله واطسون، فإنَّ هولمز كان يشير إليها دائماً باعتبارها (المرأة). بالرُّغم من أنَّ هولمز نفسه لم يستخدم هذا المصطلح، على أنَّه ذكر اسمها الفعلي عدَّة مرات في قضايا أخرى. وهي أيضاً واحدة من النساء القلائل اللاتي ذُكرن في قصص شارلوك هولمز، بالرُّغم من أنَّها ظهرت فقط في قصة فضيحة في بوهيميا، إلا أنَّها غالباً ما اعتبرت المرأة الوحيدة التي كسرت تحفُّظ هولمز. وهي المرأة الوحيدة التي هزمت هولمز في لغز.

مايكروفت هولمز

الشقيق الأكبر لهولمز، الذي يمتلك قوى تحليلية تفوق حتَّى تلك التي يتمتَّع بها شقيقه الأصغر. وبالرُّغم من ذلك فإنَّ مايكروفت غير قادر على أداء عمل تحرٍّ مشابه لعمل شارلوك، لأنَّه لا ينوي بذل أي جهد جسدي ضروري لحل القضايا.

ليس لديه طموح أو طاقة، ولن يتزحزح عن هذا حتى
ليثبت حلوله الخاصة، ويُفضّل أن يُعتبر حله خاطئاً على أن
يتحمّل عناء إثبات صحة كلامه. كثيراً ما أخذت
مُعضلاتي إليه، وحصلت منه على شُرُحات ثبتت صحتها
فيما بعد، غير أنّه كان دائماً غير قادر على حل النقاط
العملية.

لغز الرجل الأحذب

في إحدى ليالي الصيف وبعد زواجي بأشهر قليلة، كنت جالساً بجوار المدفأة أدخن غليوني الأخير، وأقرأ رواية ما فيما رأسي يتمايل من النعاس بعد يوم شاق من العمل.

كانت زوجتي قد سبقتني إلى الطابق العلوي حيث غرفة النوم وعندما سمعت صوت إغلاق الباب في البهو، عرفت أن الخدم أيضاً قد غادروا منذ بعض الوقت.

نهضتُ عن مقعدي عازماً على التوجه إلى غرفة النوم، لكنني سمعتُ جرس الباب يرن في هذا الوقت المتأخر!

لا يمكن أن يكون الطارق في هذا الوقت المتأخر زائراً عادياً. لا بد أن يكون مريضاً قد أقضي الليل بطوله وأنا أفحصه.

توجَّهْتُ نحو البهو وفتحت باب المنزل بوجهٍ متجهِّمٍ
لتغمرنِي الدَّهْشَةُ برؤية شارلوك هولمز واقفاً بيابِي!

قال: صديقي واطسون، تَمَنَّيتُ ألا أكون قد حضرتُ
بوقتٍ متأخِّرٍ لأتمكَّن من ادراكك قبل أن تنام.

- يا صديقي العزيز، تفضَّل بالدُّخول.

- تبدو مندهشاً وهذا ليس مستغرباً كما يبدو عليك
الارتياح على ما أظن. حسناً، إليك الأمر. هل ستتحملني
هذه اللَّيلة؟

- بكل سرور.

- لقد قلتَ لي أنَّ لديك هنا غرفةً إضافيَّةً تتسع لشخص
واحد، وأرى أنَّه لا يوجد في بيتك زوار هذه الليلة كما
يظهر من علاقة القبَّعات.

- سأكون مسروراً ببقائك.

- شكراً. سأعلِّق قبعتي إذن على المشجب الشَّاغر.
يؤسفني أن أرى أنَّ عاملاً كان عندك اليوم في المنزل. إنَّ
وجوده دليل على حدوث مشكلةٍ ما. آمل أنَّ المشكلة لم
تكن في الصَّرف الصحي للمنزل.



- بل في الغاز.

- لقد ترك علامتين لمسامير من صندوقه على مشمع الأرضيات عندك في نفس المكان الذي ينعكس عليه الضوء الآن.

سألته إن كان يرغب بتناول العشاء فقال: لا شكراً. لقد تناولت عشاءي في محطة واترلو، لكنني سأتناول معك الشاي بكل سرور.

جلس على المقعد قبالي صامتاً لبعض الوقت، فيما كنتُ مدركاً تماماً أنه ما كان ليزورني بمثل هذا التوقيت إلا لأمرٍ بغاية الأهمية.

فانتظرتُ صابراً كي يخبرني ذلك قبل أن أسأله. قال وهو ينظر إلي باهتمام: أرى أنك مستغرقٌ بعملك هذه الأيام، أليس كذلك؟

أجبت: أجل. كان يومي حافلاً بالكثير من المرضى. ثم أضفتُ: قد يبدو الأمر سخيلاً برأيك، لكن كيف عرفتُ أن العيادة كانت مزدحمة اليوم؟!

ابتسم هولمز وأجاب قائلاً: أنا أعرف الناس بعادتك يا عزيزي واطسون، فعندما تكون بجولة قصيرة تفضل المشي لكنك تستخدم العربة ذات العجلتين في جولاتك الطويلة.

وقد لاحظتُ أنَّ حذائك غير متَّسخ بالرغم من أنَّه مستخدم. وهكذا فقد كنتَ مشغولاً بما يكفي هذه الأيام لتستخدم العربة بشكلٍ كبير.

هتفتُ قائلاً: تمام. هذا تحليلٌ ممتاز!

قال: إنَّه أمرٌ بسيط. إنَّها ببساطة إحدى الحالات التي يقوم فيها المحلِّل المنطقي بتوليد انطباعٍ قوي في نفس صاحبه.

لكنَّ هذا يحدث فقط لأن صاحبه قد أغفل نقطةً صغيرةً واحدةً تكون هي الأساس في الاستنتاج.

ويمكن أن نصف بشكلٍ مشابه التأثير الذي تحدثه قصصك الصَّغيرة يا عزيزي والذي هو تأثيرٌ خادع تماماً يعتمد على احتفاظك ببعض حقائق المشكلة أو القضية، بحيث لا تكشفها للقارئ أبداً.

ثمَّ مال بجسده نحو الأمام وأردف قائلاً: وأنا حالياً في مثل موقف أولئك القراء. فأنا أحمل في يدي العديد من الخيوط لواحدة من أغرب القضايا المحيرة. وبالرغم من ذلك ينقصني دليل أو اثنان اعتبرهما ضروريان لإكمال وجهة نظري، ولا بد أن أحصل عليهما يا واطسون... سأحصل عليهما بكل تأكيد.

لمعت عيناه وصبغ وجنتيه اللون الأحمر لبرهة، لكن عندما نظرتُ إليه ثانيةً كان قد استعاد طبيعته المعهودة، ليبدو بارداً كالهنود الحمر.

إنَّ هذه الصِّفة بالذَّات التي يتمتع بها تجعل كثيرين ينظرون إليه على أنَّه آلة أكثر مما هو إنسان.

قال: إن القضية تطرح الكثير من الدلائل المثيرة للاهتمام، بل يمكنني وصفها بدلائل استثنائية.

لقد بحثت القضية فعلاً ودرستها، وتوصّلت إلى بداية الحل كما أعتقد، فإذا أحببت أن ترافقني في مرحلتها الأخيرة سأعتبر ذلك خدمةً كبيرةً منك.

- سيكون هذا من دواعي سروري.

- هل تستطيع السفر إلى ألدرشوت غداً؟

- نعم. د. جاكسون سيتولى أمر عيادتي.

- ممتاز. أود أن ننطلق في الحادية عشر ورابع من محطة واترلو.

- هذا سيمنحني وقتاً كافياً لأرتّب أوضاعي.

- حسناً إذن. إذا لم يكن لديك رغبة بالنوم الآن، سأقول لك ما حدث من تطورات حتى الآن وما تبقى لنقوم به.

- كنت على وشك النوم عندما أتيت، أما الآن فقد أصبحتُ صاحياً تماماً.

- سأحاول الاختصار قدر الإمكان لكن مع ذكر كل الحقائق الأساسية المهمة.

من الممكن أنك قد قرأت بعض التقارير الإعلامية عن هذا الموضوع.

إني أحقق في جريمة قتل المزعومة للكولونيل باركلي في ألدرشوت. باركلي كان أحد عناصر كتائب المونستر الملكية.

- لم أسمع بهذه الجريمة من قبل.

قال هولمز: لم تثر الكثير من الاهتمام سوى على المستوى المحلي، حيث انكشفتُ حقائقها منذ يومين فقط. وهي باختصار كالتالي:

إنَّ كتائب المونستر الملكية كما تعرف واحدةً من أشهر الكتائب الإيرلندية في الجيش الملكي البريطاني. وقد برز دورها الهام في حرب القرم بداية الأمر، ثمَّ في التَّصدي للتمرد الكبير الذي حدث في الهند.

منذ ذلك الحين أصبحت هذه الكتائب مميزة وتلعب دوراً حاسماً في كل حملة تشارك بها.

كان قائدها حتَّى يوم الاثنين الماضي الكولونيل جيمس باركلي الذي كان شجاعاً جداً وقد ترقَّى من رتبة جندي إلى ملازم من الدَّرَجَة الثَّانِيَة لدوره الشجاع في قمع التَّمرد، ثمَّ تدريجياً أصبح قائداً للكتيبة.

تزوَّج كولونيل باركلي عندما كان برتبة رقيب، وكانت زوجته التي كانت تحمل اسم نانسي ديفوي، ابنة رقيب الشَّرَف في الكتيبة نفسها.

لا بد أن بعض المشاكل الاجتماعية قد حدثت عندما وجد الزوجان الشابان نفسيهما في الحياة الاجتماعية الجديدة التي انضما إليها. وسرعان ما تكيّفا مع الوضع، لتحظى السيدة باركلي بشعبية كبيرة بين زوجات ضباط الكتيبة، كما حظي زوجها بشعبية اجتماعية مماثلة بين زملائه الضباط.

يمكنني أن أضيف أن السيدة باركلي كانت على درجة كبيرة من الجمال، وما زالت تتمتع بمقدار كبير من الجمال والجاذبية حتى يومنا هذا، وبعد ثلاثون عاماً من الزواج.

كانت الحياة العائلية للكونونيل باركلي تبدو وكأنها حياة سعيدة وقد أكد لي الرائد مورفي -الذي كان مصدر معظم الحقائق حول القضية- بأنه لم يسمع أبداً عن مشاكل تواجه الزوجين.

وبرأيه فقد كانت عاطفة باركلي تجاه زوجته أقوى من عاطفتها نحوه، فقد كان يبدو مضطرباً إذا تغيب عنها ليوم أو اثنين، فيما كانت هي تبدو أقل اضطراباً في نفس الظرف على الرغم من تفانيها وإخلاصها لزوجها.

وعلى العموم كان الجميع ينظر إليهما على أنهما زوجان مثاليان ولم يتوقع أحد أن تؤدي علاقتهما إلى المأساة التي حدثت.

الكولونيل باركلي نفسه كان يمتاز بصفات جيدة. فقد كان جذاباً وعادة ما يكون بشوشاً في تعامله مع الآخرين، رغم أنه كان يُظهر مقدرةً على الحقد والتصرف بعنف، لكن هذا الجانب لم يتضح في تعامله مع زوجته على الإطلاق.

الحقيقة الأخرى التي فاجأت الرائد مورفي وثلاثة ضباط آخرين من الخمسة الذين تحدّثت معهم هي حالة الاكتئاب العميق التي كانت تصيب الكولونيل بين الحين والآخر.

لقد شرح لي مورفي أنه عندما يكون الكولونيل تحت تأثير هذه الحالة تغيب ابتسامته بلمسةٍ سحريةٍ ويغرق في حالة اكتئاب عميقةٍ تمتد لأيامٍ متواصلة، ويكون في تلك الفترة بمزاجٍ سيءٍ جداً.

هذه الصفة إضافة لبعض الإيمان بالخرافات، كانتا

الصفتان الغريبتان في شخصية باركلي، وقد لاحظتهما جميع زملائه. وتجلّت الصّفة الثّانية تحديداً بوضوح لتعبيره أنّه يكره أن يُترك وحيداً لاسيما في الظلام.

وقد تسبّبت هذه الصّفة التي تعود لخوف في مرحلة الطفولة إلى إحراجهِ وتداول كثير من التّعليقات والتّخمينات حول شخصيته بين الجنود.

انتقلت الكتيبة الأولى من كتائب المونستر الملكية وهي الكتيبة القديمة رقم 117 في منطقة ألدرشوت لبضع سنوات، حيث استقرّ الضباط المتزوجون في ثكنات، أمّا الكولونيل فقد شغل طوال تلك الفترة فيلا لاشين التي تبعد نحو نصف ميل على المعسكر الشمالي.

كان المنزل مقاماً ضمن حديقة خاصّة، ويبعد عن الشّارع حوالي الثلاثين متراً من النّاحية الغربيّة.

كان يقطن المنزل إضافةً إلى آل باركلي سائق وخادمتان فقط.

لم يكن لدى عائلة باركلي أطفالاً كما لم يكونا معتادين على وجود زوار مقيمين.

الأحداث التي وقعت في لاشين مساء الاثنين الماضي بين التاسعة والعاشرة ليلاً بالتفصيل؛ هي أن السيدة باركلي كانت تملأ فراغها بالعمل مع جمعية القديس جورج التي تقع في شارع وات، وهي جمعية خيرية تركّز على منح الفقراء ملابس مستعملة.

عقدت الجمعية اجتماعاً في ذلك المساء في الساعة الثامنة ما استدعى السيدة باركلي أن تبكر في العشاء لتلحق الاجتماع، وعند مغادرتها سمعها السائق تنقل لزوجها بعض الملاحظات العادية، مؤكّدة له أنها لن تتأخر في الاجتماع.

بعد ذلك عرّجت بالسيارة على الأنسة موريسون وهي شابة تعيش في الفيلا المجاورة، لتصطحبها معها إلى الاجتماع.

استمر الاجتماع لأربعين دقيقة، وفي الساعة التاسعة والربع عادت السيدة باركلي بعد أن أوصلت الأنسة موريسون إلى منزلها بطريق العودة.

في لاشين، منزل آل باركلي غرفة تُستخدم لاستقبال

الضيوف، وتقع مقابل المدخل المؤدّي إلى المنزل مباشرةً وفيها باب زجاجي واسع يؤدّي إلى المرح العشبي الذي يبلغ عرضه ثلاثين متراً، ويفصله عن الشارع سياجٌ منخفض. عندما دخلت السيدة باركلي غرفة الاستقبال لدى عودتها، كانت الستائر مغلقة لأنّ الغرفة من النادر استخدامها مساءً.

أضاءت السيدة باركلي المصباح، ثمّ رنّت الجرس وطلبت من الخادمة جين ستیورات أن تُحضّر لها على غير العادة كوباً من الشاي.

في ذلك الوقت كان الكولونيل يجلس في غرفة الطعام، وحين سمع صوت زوجته انضم لها في غرفة الاستقبال.

لقد رآه السائق يقطع البهو متوجّها إلى هناك وبعد ذلك لم يره أحد على قيد الحياة!

أحضرت الخادمة الشاي بعد عشر دقائق، لكنّها فوجئت بسماع صوت سيدها وسيدها يتشاجران بغضب.

طرقت الباب وحاولت الدّخول لتكتشف أنّ الباب مغلقٌ من الدّاخِل.

ركضتُ إلى الطَّابق السفلي لتخبر الطَّبَّاحة، وصعدت
المرأتان مجدداً يرافقهما السَّائق إلى البهو ليستمعوا إلى
النَّقاش الغاضب الذي كان لا يزال مُحتدماً.

اتَّفَقوا جميعاً على أنَّهم لم يسمعوا إلا صوت شخصين
من الدَّاخل هما صوت السيد باركلي وزوجته.

وحسب أقوالهم كان صوت باركلي منخفضاً ومتقطعاً،
بحيث لم يسمع أحد بوضوح ما كان يقول، أمَّا تعليقات
السَّيدة فقد كانت مسموعة وهي تفيض بالمرارة والأسى،
وحين رفعت صوتها أكثر استطاعوا سماعها بوضوح وهي
تصرخ المرة تلو الأخرى: أيُّها الجبان!...

ما الذي يمكن عمله الآن بعد مرور كل هذا الزَّمن؟...

أعد لي حياتي...

لن أحمِّل الحياة معك بعد الآن أيُّها الجبان، أيُّها الجبان!

هذا باختصار ما دار بينهما في غرفة الاستقبال وانتهى
النَّقاش بصرخةٍ مُفاجئةٍ مفزعةٍ أطلقها الرَّجل، فيما سُمع
صوت اصطدام، وصرخةٌ حادَّةٌ من السَّيدة.



عندها عرف السائق أنَّ مصيبةً قد وقعت في الدَّاخل،
فأسرع إلى الباب وحاول جاهداً فتحه، فيما الصُّراخ يتعالى
في الدَّاخل، لكنَّه فشل بخلع الباب، فيما أصاب الخوف
المرأتين بالشَّلَل فلم تستطِعا تقديم المساعدة.

وبعد أن يأس من خلع الباب اندفع بسرعةٍ عبر البهو
وخرج من المنزل ليلتف حوله حتَّى وصل إلى المرج
العشبي الذي تطل عليه النوافذ الزُّجاجيَّة الكبيرة.

كانت إحدى النوافذ مفتوحةً وهذا أمرٌ معتاد في
الصَّيف فدخل إلى غرفة الاستقبال فوراً.

وعندما أصبح في الدَّاخل كانت سيدته قد توقَّفت عن
الصُّراخ وسقطت مغشيَّة عليها على الأريكة فيما كان
الكولونيل صريعاً على الأرض قرب المدفأة والدم يتدفَّق
من رأسه، فيما ساقيه متكئتين على أحد المقاعد.

كان أول ما خطر ببال السائق فتح الباب المؤدي للبهو
بعد أن أدرك فوراً أنَّه لن يستطيع تقديم شيء للسَّيدة.

وتوجَّه إلى الباب لفتحه، لكنَّه لم يجد المفتاح فيه، ولم
يستطع العثور على المفتاح في أي مكانٍ بالغرفة، رغم أنَّه

يفترض أن يكون موجوداً بالبواب على اعتبار أنه كان مغلقاً بالمفتاح.

وهكذا خرج السائق من الغرفة عبر النافذة كما دخل، ثم عاد هو وشرطي وطبيب، فقاموا جميعاً بنقل السيدة المتهمة الرئيسية بالجريمة إلى غرفتها وهي ما تزال فاقدة للوعي.

ثم نقلوا جثة الكولونيل ووضعوها على الأريكة، وتفحصوا مكان الجريمة بدقة متناهية.

كانت إصابة العسكري المخضرم القاتلة في الجزء الخلفي من رأسه وبطول بوصتين، تسبب بها على ما يبدو ضربة بشيء غير حاد، تبين على الفور أنها هراوة من الخشب المحفور ذات مقبض عظمي كانت موجودة جانب الجثة.

وبما أن الكولونيل كان يملك مجموعة كبيرة من الأسلحة التي أحضرها معه من مختلف البلدان التي خدم فيها، اعتقدت الشرطة أن الهراوة هي إحداها رغم أن الخدم لم يتعرفوا عليها على أنها واحدة من تذكارات

الكولونيل. لكن إنكارهم معرفتها لم يكن مهمًا، لأنَّ المنزل كان مليئًا بمثل هذه التذكارات والتحف.

أما بالنسبة لمفتاح الغرفة فلم يجدوه سواء مع السيدة باركلي أو القتييل أو في أي مكان بالمنزل الأمر الذي أثار الريبة والشك. وقد فتحوا الباب في نهاية المطاف باستدعاء صانع أقفال محترف.

تلك كانت جميع الوقائع الهامة عندما توجَّهت ياواطسون إلى ألدرشوت صباح الثلاثاء، بناءً على طلب الرائد مورفي لأساهم بالتحقيق الذي تقوم به الشرطة.

أعتقد بأنك ستعترف بأهمية القضية كونها برأيي غير عادية، بل تبدو أكثر غرابةً وصعوبةً، رغم أنها تبدو للوهلة الأولى عكس ذلك.

كان أول ما فعلته استجواب الخدم، لكنني لم أحصل على شيء جديد غير الذي ذكرته، باستثناء أنَّ الخادمة جين ستورات تذكَّرت شيئاً مهمًّا؛ وهو أنَّ سيديها لم يكونا يتشاجران بصوت عالٍ في بداية الأمر، ولم تكن تستطيع سماع ما يدور بينهما، حتَّى عادت برفقة الخادمة الأخرى

والسائق. وبعد استجواب الخدم تفحصتُ الغرفة، لكنني لم أجد فيها جديداً.

أمرٌ واحدٌ في القضية خلّف انطباعاً عميقاً بنفوس الجميع وهو مقدار الألم والرعب الذي كان مرتسماً على وجه الكولونيل.

فقد انطبع على وجهه وفقاً لرأيهم أقصى ما يمكن للملامح البشرية حمله من تعابير الخوف والرعب، وكان لذلك المشهد تأثيراً رهيباً على الخادمتين، لدرجة أن إحداهن فقدت الوعي لدى رؤيته! ربما عرف ما سيصيبه، فحلّ به رعبٌ شديدٌ.

وهذا ما ذهبت إليه الشرطة من تفسير للأمر. حيث افترضت أن الكولونيل قد شاهد زوجته تشن عليه الهجوم الذي أودى بحياته.

حتى الإصابة في مؤخرة الرأس لم تجعل الشرطة تغير رأيها بهذه النظرية؛ أي أن زوجته هاجمته من الأمام، فربما كان قد استدار ليتفادى الضربة التي وجهتها إليه برأي الشرطة.

بالنسبة للسيدة باركلي لم يكن من الممكن الحصول على أية معلومات منها لأنها فقدت رشدها مؤقتاً، نتيجة نوبة شديدة من الحمى الدماغية.

لقد عرفتُ من الشرطة أنَّ الأنسة موريسون، تلك التي رافقت السيدة باركلي في ذلك المساء إلى الاجتماع الخاص بالجمعية الخيرية، فقد قالت أنَّ السيدة باركلي كانت بمزاج سيء لدى عودتهما، لكنّها لم تعرف السبب لذلك.

جلستُ أنفث دخان غليوني وأفكر في كل الحقائق والدلائل محاولاً تمييز الأهم بينها عن تلك التي وقعت مصادفةً.

لم يكن لديّ أدنى شك أنَّ اختفاء مفتاح الغرفة واحداً من أهم الدلائل، إذ لا بدّ أنَّ شخصاً قد أخذه ولم يكن الكولونيل أو زوجته قادرين على ذلك، وهذا واضح بما يكفي، لذلك لا بدّ من وجود شخص ثالث دخل الغرفة، وهذا الشخص لم يدخل الغرفة من الباب بل من النافذة.

لذلك قرّرتُ أن أتفحص الغرفة والمرج العشبي مرّة أخرى بدقّة أكبر، لأنّه لا بد من وجود دليل ما هناك

يكشف سر الشخص الغامض.

استخدمتُ يا واطسون كل الأساليب التي أعرفها في هذا التحقيق حتّى تمكّنتُ من الوصول إلى ما أبعيه.

لقد كان داخل الغرفة شخصٌ ثالثٌ جاء إليها عبر المرح العسبي! وحصلت في هذا الإطار على خمسة دلائل واضحة، كان إحداها موجود على الطريق الرئيسي حيث تسلّق ذلك الشخص سور المنزل، ودليان موجودان على العشب، ودليان آخران على اللّوح الزّجاجي الملطّخ حيث دخل من النافذة.

كان يبدو أنّه أسرع الخطى عبر العشب حيث كانت علامات أصابع قدميه أكثر عمقاً من آثار كعبيه.

لكن من أثارني أكثر من ذلك الشخص الآخر الذي كان يرافقه.

فقلت بدهشةٍ واستغراب: مرافقه؟!!

أخرج هولمز ورقة عريضة من جيبه وبسطها بعناية على ركبتيه وسألني قائلاً: ما الذي يمكن أن تستنتجه من هذا؟

كانت الورقة مليئة برسومات لأثار أقدام إحدى الحيوانات الصغيرة، فقد كان فيها خمس علامات واضحة لباطن قدم الحيوان، ودليل على وجود مخالب وكل الأثر لا يكاد يكون بحجم ملعقة صغيرة!

قلتُ: إنها لقدم كلب.

- هل سمعت يوماً عن كلب قادر على السير على الستائر.

- قردٌ إذن؟

- ولكنّها لا تشبه قدم القرد.

- ماذا يمكن أن يكون إذن؟

- ليست لكلب أو قط أو قرد أو أي حيوان نعرفه.

حاولت إعادة رسم الآثار مستعيناً بالمقاييس، حيث يوجد هناك أربع طبعات، حين كان الحيوان واقفاً بلا حركة، وكما ترى تبلغ المسافة بين القوائم الأمامية والخلفية حوالي أربعين سنتيمتراً، أي طول الحيوان 40 سم زائد الدليل إذا كان موجوداً.

لكن أرجو أن تنتبه إلى المقاييس الأخرى، فآثار حركته تؤكد أنَّ طول خطوته لا يتجاوز طول الإصبع. وهذا دليل على أنَّه حيوان بجسمٍ طويل وقوائم قصيرة. الغريب أنَّه يمكن أن يسير على السَّتائر، كما أنَّه من الحيوانات اللاحمة.

- وكيف استطعتَ استنتاج هذا؟

- لأنَّه تسلَّق السَّتارة للوصول إلى قفص الكناري الذي كان معلقاً في الجانب الأعلى من النافذة.

- إذن ماذا يكون هذا الحيوان؟

- آه لو تمكَّنتُ من معرفة ما هو! فربما ساعدني هذا على حل القضية.

عموماً يمكن أن يكون ابن عرس بالرُّغم من أنَّ المقاييس تؤكد أنَّ هذا الحيوان أكبر من أي ابن عرس رأيته في حياتك.

- لكن ما علاقته بالجريمة؟

- لا تزال علاقته بالجريمة غير مفهومة وغامضة. لكننا

وكما تلاحظ أحرزنا تقدُّماً جيِّداً، فقد وصلنا إلى أنَّه كان هناك شخصٌ ثالث يراقب الشَّجار بين الزَّوجين، لأنَّ السَّتائر كانت مرفوعة والمصباح مُضاء داخل الغرفة.

كما أصبحنا نعرف أنَّه قد ركض على العشب مسرعاً ثمَّ دخل الغرفة من النَّافذة المفتوحة مصطحباً معه حيواناً غريباً.

ربما يكون هذا الشخص هو من قتل الكولونيل، ومن الممكن أيضاً أن يكون الكولونيل قد أصيب بالرُّعب بسبب رؤية هذا الشَّخص، وسقط نتيجة ذلك فارتطم رأسه بزاوية إطار المدفأة ومات.

لكن يبقى السؤال المحيِّر، لماذا أخذ ذلك الشَّخص مفتاح الغرفة معه عندما غادرها؟!

فقلت: إنَّ ما توصلتُ إليه حتَّى الآن، زاد الأمر تعقيداً.
- بالضُّبط. لقد أدَّت تلك الاستنتاجات إلى أنَّ الأمر معقد أكثر بكثير مما يبدو.

لقد أمنتُ التَّفكير بالأمر وتوصَّلتُ إلى قرار أنَّ انظر إلى القضية من زاويةٍ مختلفة.

ثمَّ نظر إليَّ بنوعٍ من الشَّفقة، لأنَّه أبقاني مستيقظاً حتى هذا الوقت المتأخَّر وقال: يبدو أنَّي جعلتُكَ تبقى مستيقظاً لفترةٍ طويلةٍ دون جدوى يا واطسون. كان بإمكانني إخبارك بكل هذا ونحن بطريقنا إلى إلدرشوت غداً.

- شكراً لك، لقد أخبرتني الكثير بالفعل ولا يمكنك أن تتوقَّف الآن.

فتابع هولمز القصة قائلاً: كان الوضع جيداً بين السيدة باركلي وزوجها حين غادرتُ المنزل في السَّابعة والنِّصف مساءً.

ورغم أنَّها لم تكن من النِّساء اللّواتي يعرفن كيف يُظهِرنَ عواطفهنَّ، إلا أنَّ السَّائق سمعها تدرّش مع الكولونيل بطريقةٍ ودِّيَّةٍ قبيل مغادرتها.

من المؤكَّد أيضاً أنَّها ذهبت إلى غرفة الاستقبال، فور عودتها لتتجنَّب رؤية زوجها وطلبت الشَّاي في ذلك التَّوقيت، كدليلٍ على غضبها وأخيراً حين أتى هو إليها انفجرت بوجهه بسيلٍ من الاتِّهامات العنيفة.

لذلك لا بدَّ أنَّ شيئاً مهمّاً حدث بين ذهابها وعودتها

جعل موقفها من زوجها يتغير بشكل جذري.

وبما أنَّ الأنسة موريسون كانت معها طوال تلك الفترة فلا بدَّ أنَّها تعرف شيئاً رغم إنكارها لذلك.

كان حدسي الأول هو أنَّ بين السيدة الشَّابة والكولونيل علاقة عاطفيَّة، وربَّما تكون قد اعترفت لزوجته بالأمر، فيما كانتا معاً، ولعلَّ هذا ما حدا بالسَّيدة باركلي للعودة غاضبة وهو يبرِّر أيضاً إنكار الأنسة موريسون حدوث أي شيء.

وهذا افتراض لا يتعارض مع معظم الأقوال والإفادات التي سمعتها من الخدم.

لكن بالمقابل من المعروف أنَّ الكولونيل يحب زوجته كثيراً، إضافةً إلى وجوب الأخذ بعين الاعتبار للتدخل العنيف للشَّخص المجهول، وربما لم يكن لهذا التدخل أي علاقة بما حدث من قبل.

ليس من السَّهل متابعة أي شخص، لكنني كنتُ دوماً أميل إلى الافتراض الأول الذي يربط الكولونيل والأنسة موريسون بعلاقة، واقتنعت بالوقت نفسه أنَّ هذه السَّيدة

الصَّغيرة تحمل مفتاح حل هذا اللِّغز، خصوصاً لجهة التَّحول المفاجئ في مشاعر السيدة باركلي تجاه زوجها.

لذلك بدأتُ أعمل وفق هذه الفرضية وقمت بزيارة الأنسة موريسون وشرحتُ لها رأيي وأنها هي من تملك الحقائق بين يديها.

وأكدتُ لها أنَّ صديقتها السيدة باركلي قد تجد نفسها بالسَّجن متهمه بجريمة قتل، إذا لم تتضح الأمور بشكلٍ جيّد.

إنَّ الأنسة موريسون شابة نحيلة القوام بالغة الرِّقة، لها عينان خجولتان، وشعر أشقر، وعرفت أنَّها ذكيّة بما يكفي وتملك تفكيراً سليماً.

فقد جلست تفكر لبعض الوقت في الكلام الذي قلتهُ لها، ثمَّ التفت نحوي بعزم وقالت كلاماً طيباً يمكن تلخيصه بالتَّالي، قالت: لقد وعدت صديقتي أنَّي لن أتفوه بكلمة عن هذا الأمر، والوعد ملزم.

لكنني أجد أنَّ من واجبي مساعدتها وهي تواجه هذه التَّهمة الخطيرة، لاسيما أنَّ عزيزتي المسكينة لا تستطيع

الدِّفاع عن نفسها الآن بسبب مرضها.

لذلك أعتقد أنَّي يجب أن أحل نفسي من العهد الذي قطعته لها، وسأخبرك بما حدث مساء يوم الاثنين بالتفصيل.

لقد حدث ذلك حين كنا عائدتين من اجتماع الجمعية حوالي السَّاعة التَّاسعة إلا ربع. في طريق عودتنا كان يجب علينا المرور في شارع هيدسون.

كانت الحركة خفيفة جداً في الشَّارع ولا يوجد به سوى ضوء واحد على الجهة اليسرى وعندما اقتربنا من الضوء رأينا رجلاً يسير بأنَّجَاهنا، وكان ظهره منحنيّاً بشدَّة. كان يعلِّق على كتفه شيئاً ما يشبه الصندوق.

بدا الرجل وكأنَّه مشوّه بطريقةٍ ما، إذ كان يسير ورأسه منحني فيمَا ركبتيه مقوّستين.

كدنا نتجاوزه حين رفع بصره بأنَّجَاهنا تحت ضوء المصباح. حينها صرخ بصوتٍ خفيفٍ: يا إلهي. إنَّها نانسي!



ما أن سمعتُ صوته حتَّى أصبح وجهها (السيدة باركلي) شاحباً، وكادت أن تسقط مغشياً عليها، لولا أنَّ الرجل ذي الهيئة المخيفة أمسك بها.

كنت على وشك أن أصرخ طالبة النجدة، إلا أنَّها فاجأتني وتكلَّمت مع الرجل بطريقة مهذَّبة! وقالت له بصوت خائف: لقد اعتقدتُ أنَّك ميت طوال ثلاثين عاماً يا هنري.

قال: لقد كنتُ ميّناً بالفعل!

كان سماع نبرة الرجل وهو يردّد تلك العبارة كافياً لدب الرُّعب في قلب أي إنسان.

كان وجهه مخيفاً شديداً السُّمرة وهناك لمعة غريبة في عينيه لا تزال تطاردني في أحلامي حتَّى اليوم.

كان شعره أشيب كذلك شاربيه، وكان وجهه مجعداً ومتغضناً مثل تفاحة ذابلة!

قالت السيدة باركلي: هل يمكنك الابتعاد قليلاً. أُنِّي بحاجة لمحادثة هذا الرَّجل على انفراد. أرجوك لا تخشي شيئاً.

كانت تحاول بكل طاقتها أن تتحدّث بشكل واضح لكن وجهها كان لا يزال شاحباً، والكلمات لا تخرج من فمها إلا بصعوبة بالغة.

المهم، فعلتُ ما طلبتُهُ مني وابتعدتُ عنهما. تحدّثا معاً لبعض الوقت، ثمّ تقدّمت نحوي في نهاية الشارع وعيناها تلمعان، فيما رأيت الرجل تحت ضوء المصباح وهو يلوّح بيده في الهواء بغضبٍ شديد. لم تنطق بكلمة واحدة حتّى وصلنا إلى باب المنزل. عندها أمسكتُ يدي وتوسّلت لي أن لا أخبر أحداً بما حدث. وقالت: إنّه أحد أصدقائي القدامى. لكن أحواله ساءت كثيراً.

وقامت بتقبيلي بعد أن وعدتها بعدم ذكر الأمر لأحد، ولم أرها منذ ذلك الحين.

لقد أخبرتُك الآن يا سيد هولمز الحقيقة التي كتمتها عن الشرطة، لأنّي لم أدرك حينها أنّ من مصلحة السيدة باركلي إفشاء هذا الأمر.

هذا كل ما أفادت به الشّابة يا واطسون. كانت إفادتها

بالنسبة لي كما تلاحظ مثل الضوء في مغارة معتمة جداً، فكل ما كان غير مترابط. بدا في ترتيبه ومكانه الصحيح. وتكوّن لديّ شعورٌ غامضٌ بتتابع الأحداث.

كان من الواضح أنّ خطوتي التالية بالنسبة لي تتمثل بالعثور على ذلك الرجل الغامض الذي خلف تأثيراً غير عادياً على السيدة باركلي.

لو كان بقي في إدرشوت لكان من السهولة بمكان العثور عليه إذ لا يوجد بالمنطقة عدد كبير من المدنيين، وشخص ذو عاهةٍ مثله من السهولة تمييزه.

أمضيت يوماً كاملاً في البحث، وبحلول المساء الذي يُصادف هذا المساء الذي نتحدّث فيه الآن يا واطسون استطعتُ أن أعثر على ما يقودني إليه.

كان اسم الرجل هنري وود وهو يستأجر غرفة في إحدى منازل الشارع الذي قابل فيه السيدتين، وقد انتقل إلى المنطقة منذ خمسة أيام فقط.

قمتُ بالتّكرار كوكيل تسجيلات، وأجريتُ حواراً رائعاً مع صاحبة المنزل الذي يستأجر هنري غرفةً فيه.

عرفت منها أنه يعمل كساحر وممثل فكاهي في الملاهي
المخصّصة لترفيه الجنود ليلاً.

وأنه يحمل معه في صندوقه حيواناً يبدو أنه يُسبّب
الدُّعر لصاحبة المنزل، لأنّها لم تشاهد حيواناً مثله سابقاً.
يستخدم الرجل الحيوان للقيام ببعض الحيل كما تقول.

كما أطلعتني المرأة على تفاصيل كثيرة من حياة هنري
وود، مستغربة أن يستطيع التَّمكُّن من الحياة مع كل ذلك
التَّشوّه الذي يعاني منه، وأنه يتحدّث بلغة غريبة غير
مفهومة أحياناً، إضافة إلى أنّها سمعته مرةً وهو يتأوّه
وينوح ويبكي في غرفته.

حدث ذلك طوال اللّيلتين السابقتين. ورغم أنّه
مستقيمٌ في تعاملاته المالية إلا أنّه حين دفع أجرة شهر
مقدّماً أعطى السّيدة ما بدا لها جنيهاً مزيفاً، حين عرضته
عليّ تبّين أنّه روبية هندية.

وهكذا يا صديقي العزيز ها قد أصبحت الآن على علم
بكل ما أعرفه في هذه القضية، كما أصبحت تعرف لماذا أنا
بحاجة لك في هذه القضية.

لأنه من الواضح أنَّ الرجل قد تبع السيدتين بعد مغادرتهما، وأنَّه شاهد الشجار بين الكولونيل وزوجته، فاندفع إلى داخل غرفة الاستقبال وتحرر الحيوان الذي كان يحمله في الصندوق، فترك الآثار التي أخبرتك عنها سابقاً.

تعتبر كل هذه النقاط حقائق مؤكَّدة والوحيد الذي يمكن أن يخبرنا ماذا حدث في تلك الغرفة في تلك الليلة هو ذلك الرجل.

- وهل تنوي سؤاله عن ذلك؟

- بالتأكيد، لكنني أحتاج إلى شاهد أثناء روايته للأحداث.

- وهل أنا الشاهد الذي تحتاجه؟

- هذا بعد إذنك. إذا قال لنا ما حدث وروى الحقيقة فسيسير الأمر على ما يرام، أمَّا إذا رفض الكلام فسنضطر إلى إبلاغ الشرطة للقبض عليه.

- ولكن كيف لك أن تكون متأكَّداً أننا سنجده عندما نذهب إلى هناك؟

- لقد اتخذت الاحتياطات اللازمة. فقد تركتُ أحد

الشُّبان ليراقبه وسوف يبقى ملازماً له أينما ذهب.

أنا متأكد بأننا سنجدّه في غرفته بشارع هيدسون غداً
يا واطسون، وحتىّ ذلك الوقت سأكون أنا المجرم الحقيقي
إن أبقيتك مستيقظاً بعد هذا الوقت المتأخّر.

في اليوم التّالي كان الوقت قد أصبح ظهراً عندما وصلنا
إلى المنطقة التي وقع فيها الحادث، فأنجّه صديقي هولمز إلى
شارع هيدسون على الفور.

وبالرغم من قدرته على إخفاء مشاعره إلا أنّي لاحظتُ
بسهولة حالة الانفعال التي يحاول كبتها لديه، فيما شعرتُ
أنا بإثارة خفيفة بتحفز ملكاتي وهذه الحالة التي تتابني في
كل مرة أشترك مع هولمز في مغامرة من مغامراته.

وفيما كنا ننعطف في طريق ضيّق، تتناثر على جانبيه
منازل فقيرة ذات طابقين، قال لي: هذا هو الشّارع. آه وهذا
هو سيمبسون ليخبرنا بما حدث في غيابي.

صاح فتى صغير وهو يتقدّم نحونا مسرعاً: إنّه في
الدّاخل يا سيد هولمز.



فقال هولمز مربتاً على رأس الفتى: أحسنت صنعاً
ياسيمبسون. هيا بنا يا واطسون. هذا هو المنزل.

أعطى هولمز الفتى بطاقته مرفقةً برسالة للرجل، يقول
فيها أنه جاء بأمر هام. بعد دقيقة قابلنا الرجل الذي جئنا
من أجله.

على الرغم من الطقس الدافئ في الخارج كان الرجل
منحنياً أمام المدفأة، وكانت الغرفة الصغيرة حارة كأنها
فرن.

جلس على مقعده بطريقة توّضح أنه مُصاب بعاهة ما،
وبدا وجهه مرهقاً وحزيناً عندما التفت ناحيتنا، لكنه كان
وجهاً ينضح بالوسامة أيام الشاب بشكلٍ واضح.

نظر الرجل إلينا بابتسامة صفراء وعينين متشائميتين،
دون أن يقف، وأشار إلى مقعدين كي نجلس.

قال هولمز بلطف: أعتقد أنك السيد هنري وود وقد
أتيت من الهند مؤخراً. جئت إليك لأحدثك بخصوص
أمر بسيط متعلق بمقتل الكولونيل باركلي.

- وما الذي يجب أن أعرفه بخصوص هذا الأمر؟

- هذا ما أودُّ التأكيد منه. حسب اعتقادي، أنت تُدرك جيداً أنه من المؤكَّد أن تتم محاكمة السيدة باركلي بتهمة القتل ما لم تتضح الأمور بطريقةٍ تبرؤها، وكما أعرف فهي صديقةٌ قديمةٌ لك.

انتفض الرجل بعنف وصاح قائلاً: لا أعرف من أنت ولا كيف توصلت إلى استنتاجاتك هذه، لكن هل تقسم على صدق ما تقوله؟

- أكيد. إنهم ينتظرون حتى تستعيد وعيها حتى يوجهوا لها التهمة ويقبضوا عليها.

- يا إلهي! أنت من الشرطة؟

- لا.

- ما علاقتك بالأمر إذن؟

- من واجب كل إنسان المساعدة في الوصول إلى العدالة وتحقيقها.

- أقسم لك إنها بريئةٌ تماماً.

- هل أنت القاتل إذن؟

- لا، أنا لستُ قاتلاً.

- من قتل الكولونيل باركلي إذن؟

- قتلته العدالة الإلهية.

لكن يجب أن تعلم أنّي لو ضربته على رأسه فقتلته كما
تمنيت أنا أن أفعل ذلك لكان هذا أقل ما يستحقه مني،
ولو لم يقتله إحساسه بالذنب وتعذيب الضمير لكنتُ على
الأرجح قتلته بنفسِي.

هل تريد مني أن أقول لك قصّتي معه؟ حسناً لا أدري
لماذا لا أفعل ذلك فليس لدي ما أخجل منه.

ثمّ بدأ الرّجل قصّته فقال:

الأمر كالتّالي يا سيّدي...

أنتَ تراني الآن وظهري كسنام الجمل، وأضلاعي
معوّجة. فيما كان العريف هنري وود (أنا) واحداً من
أوسم شبان كتيبة المشاة 117.

كنّا في معسكر بالهند في مكان دعونه فيما بعد بهورتي
وكان باركلي رقيباً في نفس الكتيبة. أما أجمل فتيات الكتيبة

فكانت.. آه، ليس أجمل فتيات الكتيبة بل أرق فتاة على وجه الأرض فقد كانت نانسي ديفوي ابنة الرقيب الأول في الكتيبة.

لقد أحبَّ نانسي رجلان، فيما أحبَّت هي أحدهما، وسوف تتعجب حين تنظر إلى هذا الشيء الجالس أمامك منحنياً أمام المدفأة ثم أخبرك أنها أحبَّتني بسبب وسامتي! حسناً، بالرغم من أنها كانت تُحبُّني أنا، إلا أنَّ والدها قرَّر تزويجها لباركلي، لأنني كنتُ شاباً طائشاً ومتهوراً حسب رأيه. أمَّا باركلي فكان متعلماً وقد نال وساماً عسكرياً.

لكنَّ الفتاة رفضت مشيئة والدها وتمسَّكت بحبها لي، وكنتُ على وشك الفوز بها مع اندلاع التمرد في كافة أرجاء الهند. فقد تمت محاصرتنا في بهورتي. كانت كتيبتنا تضم نصف سرية مدفعية وسرية من الهندود من طائفة السيخ، إضافةً إلى عدد كبير من المدنيين.

كان يحاصرنا حوالي عشرة آلاف متمردٍ يحيطون بنا، والحماسة تُلهب رؤوسهم للنيل منا، وكان الوضع كأنهم

مجموعة من الكلاب تُحيط بقفص فيه فأر.

في الأسبوع الثاني من الحصار بدأ الماء ينفذ وكانت فرصتنا الوحيدة بالنجاة هي عبر الاتصال بكتيبة الكولونيل نيل المتَّجهة شمالاً.

لم يكن لدينا أي فرصة بخرق الحصار من خلال القتال بسبب كثرة النساء والأطفال في صفوفنا، لذلك كان لا بد من الاستعانة بقوات الكولونيل نيل.

تطوعتُ للتسلل وطلب النجدة من الكولونيل نيل.

تمَّ قبول عرضي وناقشتُ الأمر مع الرقيب باركلي الذي كان من المفترض أنَّه يعرف الطريق أفضل من أي شخصٍ آخر، فرسم لي المسار الذي يمكنني من التسلل بين خطوط المتمردين.

وفي العاشرة ليلاً من ذلك اليوم بدأت رحلتي.

كان هناك ألف شخص لأنقذهم لكني لم أفكر إلا بشخصٍ واحدٍ فقط وأنا أجتاز خطوط المتمردين في تلك الليلة.



كان طريقي يسير أسفل مجرى ماء جاف على أمل أنه
 يوفّر لي مكاناً لا يراني فيه المتمردون، لكن عندما زحفت
 حول زاويته اصطدمت بستة منهم كانوا مختبئين في الظلام
 بانتظاري!! وفي لحظة مباغتة تلقيت ضربة شديدة على
 رأسي ففقدت الوعي وتمّ تقييدي.

كانت الضربة الحقيقية التي تلقيتها ليست ضربة رأسي بل في قلبي، فعندما استيقظت واستمعت إلى ما أمكنني فهمه من الذين أسروني، أدركتُ أن زميلي في السلاح الذي وضع لي مخطط المسار الذي سلكته هو الشخص الذي خانني عن طريق خادم هندي أرسله قبل انطلاقي ليخبر المتمردين عن المسار الذي سأسلكه!

حسناً، لا داعي لكي أتوقف الآن عند هذه النقطة، فأنتم تعرفون ما يمكن لباركلي أن يفعل.

انكسر الحصار المفروض على بهوري في اليوم التالي، وانسحب المتمرّدون وأخذوني معهم.

مرّت سنوات كثيرة قبل أن أرى وجه إنسانٍ أبيض مرّة أخرى. لقد عذّبوني وحاولتُ الفرار فأمسكوا بي وعذّبوني من جديد وتستطيع أن ترى بنفسك الحال الذي أوصلني له كل ما سبق.

بعد ذلك بفترةٍ فرّ بعض المتمردين إلى نيبال وأخذوني معهم وحين وصلنا إلى دارغلينغ، قام سكّان التّلال بقتل المتمردين الذين كانوا يصطحبونهم معهم، واحتفظوا بي

عبداً لهم، حتى تمكّنتُ من الفرار.

عندما هربت اضطررت إلى التوجه شمالاً بدلاً من الاتجاه جنوباً. واستمررت بالتّقدم حتى وصلتُ إلى أفغانستان، وهناك جلت البلاد لعدة سنوات، ثمّ عدتُ أخيراً إلى إقليم البنجاب، حيثُ قضيتُ ردحاً كبيراً من الزّمن بين السكان المحليين، وكنتُ أكسب قوتي عن طريق ممارسة الألعاب السحرية التي تعلمتها.

لم أجد أي فائدة بعودتي إلى انكلترا فيما أنا عاجزٌ وتعيّس ووجدت أنه لا فائدة من إظهار نفسي لزملائي القدامى هناك.

حتى رغبتني بالانتقام لم تعد قوية لدرجة تدفعني للعودة، فقد كنت أفضل أن تعتقد نانسي وأصدقائي القدامى أنني مت وصورة الشاب الوسيم ما تزال في ذاكرتهم، على أن يروني في هذا الوضع وأنا أستعينُ بعصا لأتمكّن من المشي كأني قرّداً ما.

لم يشك أي من زملائي بموتي، وسمعتُ بعد ذلك أن باركلي تزوّج نانسي، وأنه يترقّى في الكتيبة بسرعة، لكن

كل ذلك ما كان ليجعلني أعود وأتكلم. لقد فقدت الرغبة بكل شيء.

لكن كلما تقدّم المرء بالسن، ازداد حنينه لوطنه، وكانت قد مرّت عليّ سنوات طويلة وأنا أحلم فيها بحقول انكلترا الخضراء، لذلك قررت في نهاية المطاف أن أرجع إلى بلادي قبل موتي.

وهكذا ادّخرتُ ما يكفي لنفقات سفري، ثمّ أتيتُ إلى هنا، حيث يوجد جنود لأنّي أعرف أسلوب حياتهم، وكيف أجعلهم يضحكون، وبذلك أكسب قوتي ورزقي.

عند ذلك قال هولمز: إنّ قصة حياتك مثيرة للاهتمام وقد سمعتُ أنّك قد التقيت مع السيدة باركلي وتعرّف كل منكما على الآخر.

عندها وكما فهمت تبعتها إلى منزلها ورأيت المشاجرة التي دارت بينها وبين زوجها من نافذة غرفة الاستقبال، حيث لا شك أنّها واجهته بما فعله ضدك، فغلبتك مشاعرك وركضت عبر المرح العشبي واقتحمت عليهما الغرفة.

- نعم، هذا ما فعلته يا سيدي.

وما أن رأي رأيتُ في وجهه ما لم أره في حياتي بوجه إنسان.

هلع عظيم ممزوج بصدمة، رؤية شيء مستحيل.

ما أن رأي حتى سقط ليضرب رأسه في إطار المدفأة.

أنا متأكد أنه مات قبل سقوطه من تعابير وجهه التي لم أرَ مثلها قبلاً.

لقد رأيتُ الموت على وجهه وكانت رؤيتي بالنسبة له كالرّصاصة التي اخترقت قلبه المذنب فأردته قتيلاً.

- وماذا حدث بعد ذلك؟

- عندها غابت نانسي عن الوعي، فالتقطتُ من يدها مفتاح باب الغرفة لكي أفتحه وأطلب المساعدة، لكن حين هممتُ بذلك فكّرتُ أنه من الأفضل أن أدع الأمر وأهرب، لأنّ موقعي قد يكون سيئاً وسوف يتم كشف سري إذا أُلقي القبض عليّ.

ولأنني كنتُ مرتبكاً ومسرّعاً في نفس الوقت فقد

نسيْتُ المفتاح بجيبي، ثمَّ التَقَطْتُ عصاي وأنا أطارِدَ تيدي
الذي كان قد تعلَّقَ بالسَّتارة.

بعد ذلك وضعته في الصُّندوق الذي خرج منه أصلاً
ولذات بالفرار.

فسأله هولمز: لكن من تيدي هذا؟

انحنى الرجل فوق قفصٍ موجود في زاوية الغرفة
وفتح بابَه، فخرج حيوان جميل لونه بين بني مائلٌ للحمرة.

كان حيواناً نحيلاً له سيقان تشبه سيقان ابن عرس،
وله عينان رقيقتان جداً وأنفٌ طويل. فصحتُ عندما
رأيتَه: هذا نمس!

قال الرجل: حسناً، البعض يسمونه بهذا الاسم، أمَّا
أنا فأدعوه صيَّاد الأفاعي.

إنَّ تيدي سريعٌ جداً مع الكوبرا. لدي هنا واحدة حية
لكنَّ أسنانها منزوعة، وتيدي يمسك بها كل ليلة من أجل
تسلية المتفرجين.

ثمَّ التفتَ باتجاه هولمز وقال: هل من شيءٍ آخر أستطيع
فعله يا سيدي؟

- حسناً، من الممكن أن نطلبك ثانيةً إذا كانت السيدة باركلي في ورطة حقيقية فعلاً نتيجة هذا الأمر.

- وفي تلك الحالة لن أتردد في مد يد المساعدة.

- لكن إذا لم تتورط السيدة باركلي، أعتقد أنه لا داع لنشر هذه الفضيحة ضد رجلٍ مَيّت.

فعلى الرغم من تصرفه الشنيع وخيانتته، إلا أنه يشفي غليلك ويريحك أن ضميره ظلَّ يؤنبه بمرارة طوال ثلاثين عاماً بسبب فعلته الشريرة.

ثمَّ نظر هولمز إلى الناحية الأخرى من الشارع، وقال: ها هو الرائد مورفي. إلى اللقاء يا سيد وود.

أريد أن أعرف إذا حدث تطوراً جديداً في القضية منذ الأمس.

وصلنا في الوقت المناسب لنلحق الرائد مورفي قبل وصوله إلى زاوية الشارع، وحين التقى بنا قال: هولمز. هل عرفت أن كل هذه الضجة انتهت إلى لا شيء؟

- ماذا حدث؟



- لقد تمَّ إغلاق التَّحقيق الآن.

لقد أثبت الفحص الطبي أن الكولونيل مات نتيجة جلطة دماغية.

لقد كانت قضية بسيطة رغم الغموض الذي كان يشوبها.

قال هولمز مبتسماً: أجل كانت قضية عادية جداً.

هيا بنا يا واطسون لا ضرورة لوجودنا في ألدرشوت بعد الآن.

• انتهى •